

المحاكاة أو التقليد

بفلم الأستاذ محمد عطية اندراسى

أستاذ التربية والتمثيلات السامية بدار العلوم والتربية والاخلاق بكلية أصول الدين وعلم النفس بكلية الحقوق

في هذا البحث القيم عن « المحاكاة أو التقليد » ما يدل على دقة الأستاذ الإبراشى في البحث ، وما يدل مع ذلك على تيسره للنظريات المعقدة تيسيراً يقرب القراء منها ويحييهم إلى تلاوتها ، وليس هذا بالعدل الجديد على الأستاذ الإبراشى ، فإن بحوثه التي يلقيها من منابر الصحف حيناً ، ومن منابر السكليات التي يدرس فيها حيناً آخر ، إنما تجمع إلى العمق الطلاوة ، وإلى الدقة الرفعة ، وإلى الإمتاع النفع الجزيل .

الحرر

يتكرر (مكدوجل) أن المحاكاة غريزة من الغرائز لأنها لا تصحب بأفعال وجداني ، و يرى أنها ميل فطري في الإنسان يدعو به إلى تقليد غيره في أفعاله وأقواله ، وحركاته وسكناته ، قصداً أو من غير قصد . فالطفل يقلد بطبيعته كل ما يحدث في البيئة التي تحيط به ، حسناً كان أو قبيحاً ، فهو يحاكي من لهم به صلة من حيث لا يشعر ولا يشعرون ، ويتعلم اللغة بمحاكاة من يعيشون معه ، ويتعلم الحركة والمشى والآداب العامة بالمحاكاة . وهو في العادة يحاكي الشيء المألوف لديه ، أما التقليد فيجب أن يكون نموذجاً حسناً حتى لا يترك أثراً سيئاً في الطفل ؛ فالوليد يقلد اللغة التي يسمعها ، ويردد الألفاظ التي تقال له في المنزل أو المدرسة أو الشارع أو اللب ؛ لذا يجب أن يرى الطفل أحسن مثل ، وأن يعود المحاكاة فيما يحسن من الأمور ، لا فيما يقيح منها . ولا التقليد أثر كبير لا في التعليم فحسب ، بل في التربية العقلية أيضاً ، وهو عامل رئيسي في المرحلة الأولى لتكوين العادة ؛ فالطفل يرى الشيء يفعل أمامه فيحساكيه ويكرره حتى يصبح عادة له . ويختلف الأطفال كثيراً في قوة المحاكاة باختلافهم في الزمات والقوى الجسمية ؛ فالطفل النشط ، القوي الجسم ، أسرع في محاكاة الحركات من الطفل الخامل الضعيف . وهناك أطفال يشعرون بأنفسهم وينتفون بها ، ويحبون الاستقلال في عملهم ؛ وأمثال هؤلاء لا يتأثرون بنبرهم في المحاكاة ، كما يتأثر ضعاف النفوس من الأطفال ، الذين يحبون أن ينقلوا أخطاوت غيرهم فيقلدوهم في كثير من الأمور .

ويقين أثر التقليد في التعلم والتعليم إذا نظرت إلى الفرق بين تفهم الطفل كيفية الشيء بالمادة والتكلم ، وبين رؤية الطفل لطفلا آخر يمشي فيحاول تقليده في ذلك . ففهمه الشيء لا يعلمه الشيء ، ولكن بالمحاكاة والتجربة يستمر حتى يتنادى الشيء ؛ فالتقليد له أثره في الأمور العملية التي تحتاج إلى مهارة ، وهو الوسيلة التي بها تكتسب المهارة في كثير من الأعمال كالألعاب الرياضية ، والخط ، والرسم ، والتمثيل ، والخطابة . فهو يساعد على التعلم ، لأننا نلاحظ أولاً ما يفعل أماننا ، ثم نحاول تقليده بقدر المستطاع . وليس معنى ذلك أننا لا بد من أن نتجح في تقليدنا لأول مرة ؛ لأننا قد نقفل في المحاولة الأولى ، ونتجح في الثانية مثلاً ، وليس التقليد مقصوراً على الأطفال ، ولكنه موجود بين الكبار أيضاً .

أنواع التقليد :

أما أنواع التقليد - مرتبة حسب ظهورها في الطفل - فخمسة ، هي (١) :

١ - التقليد المنعكس .

٢ - التقليد التلقائي .

٣ - التقليد الاختياري أو المقصود .

٤ - التقليد التمثيلي .

٥ - التقليد الأعلى .

والشرح كلا منها فنقول :

١ - التقليد المنعكس : هو أول نوع يظهر في الرضيع منذ الولادة ؛ فهو يبكي عادة حينما يؤلمه شيء ما ، وقد يبكي من غير ألم ، لا لبس إلا لأنه يسمع و يرى وليداً آخر يبكي فيبكي مثله . ومن أمثلة التقليد المنعكس بين الكبار أنك تتألم حينما يتألم غيرك ، ولو لم تكن هناك حاجة إلى التألم .

٢ - التقليد التلقائي أو الانبعاثي : وهو المرحلة الثانية من أنواع التقليد ؛ ولا يظهر عادة قبل أن يبلغ الوليد الشهر السادس من العمر ، ويختلف عن التقليد المنعكس في أنه ليس مقصوداً على الأفعال المنعكسة التي يقلدها الطفل ، فقد يسمع الطفل كلمة من الكلمات فيحاول تقليدها من تلقاء نفسه ولو بالتقريب ؛ وقد يراك تصفق يديك أو تهز رأسك فيفعل كما تفعل من غير قصد ، وهو مجرد تقليد ، وكثيراً ما تجد الناس في الاجتماعات يقلد أحدهم الآخر من

غير تمكيز في السبب و الغرض من العمل الذي يقوم به . والتقليد التلقائي هو الأصل في تعلم لغات أثناء الطفولة . فالطفل يقلد اللمحة التي يسمعها من تلقاء نفسه .

٣ - التقليد المقصود : كأن يقلد الطفل في نطق كلمة من الكلمات : أو كتابة حرفه من الحروف ، أو في عمل من الأعمال قصداً لأجل التعلم مثلاً ؛ ويظهر هذا النوع من التقليد في السنة الثانية أو الثالثة من العمر . والفرق بين التقليد المقصود ، والتقليد التلقائي : أن الأول تقليد لغرض خاص ، وأما الثاني فتقليد من غير غرض مقصود .

٤ - التقليد التمثيلي : وله أثر كبير في حياة الأطفال ؛ ويظهر من السنة الثالثة إلى السابعة من العمر . ويلعب التخيل دوراً كبيراً في هذا النوع من التقليد ؛ كالطفل يتخذ العصا حصاناً يركبه ويسوقه ، والكرسي سيارة فيركبه ويغامله كأنه يخاطب سيارة . وقد يقلد أباه وأمه أو الطبيب أو الخادم في كثير من أحوالهم ومظاهرهم .

٥ - التقليد الأعلى : وهو آخر أنواع التقليد ظهوراً ، ولا يبدو أثره حقيقة إلا في حال البادغ والمراهقة ؛ فالغلام في هذه السن يقلد ما يراه من الأمثلة التي تركت أثراً كبيراً في نفسه ؛ ولهذا السبب يجب أن يستمر التعليم المدرسي حتى بعد مرحلة البلوغ ، فلا يحرم الشاب الفرصة في غرس المثل العليا في نفسه ليحل للوصول إلى الكمال في المستقبل . والغلمان يميلون إلى أن يقلدوا أولاً بعض المثل العليا التي تحيط بهم في بيتهم ؛ وبعد ذلك يرجعون إلى التاريخ والأدب فيحاكون الأبطال والأدباء ؛ وهنا الفرصة سانحة أمام المربي لتشويق الطلبة إلى دراسة حياة هؤلاء الرجال ، من : علماء ، ومخترعين ، وفنيين ، وسياسيين ، وأطباء ، وأدباء ، وقادة ، حتى يتسرع الجبال أمامهم فيختاروا ما يشاءون .

وليس معنى ذكر أنواع التقليد مرتبة بالكيفية السابقة ، أن الأنواع الأولى تنمو بظهور الأخيرة ، بل تستمر كل هذه الأنواع في الإنسان مدى الحياة ؛ ففي الشاب - مثلاً - نجد كل أنواع التقليد .

وأرق أنواع التقليد لغرض معين ؛ وكما كان الغرض حياً كان التقليد حسناً - كما في حالة العزم على محاكاة نموذج من النماذج المستحسنة ، محاكاة وفق الأصل - ؛ أما النموذج الذي يحاكيه الأفعال فيجب أن يكون واضحاً حسناً حتى تسهل محاكاته . وعلى المربين أن يذكروا دائماً أن الأطفال يلاحظونهم يقلدونهم فيما يتراءون وما يفعلون من حيث لا يشعرون ، فيجب أن يظهروا دائماً المثل الأعلى أمامهم ، حتى يكونوا خير قدوة يقتدى بها . وأقل أنواع المحاكاة : المحاكاة في الأفعال التي يظهر فيها الشعور والمشاركة الوجدانية .